العالم المتقن والمراد بهم علماء الفقه المحققين من المحدثين السيد النووي فقال في شرح مسلم
هذا هو الاصح لانه يبعد عند العقل السليم ان يخاطب الله تعالى بما لا سبيل لاحد من الخلق
الى معرفته وهو الظاهر عند اولياء الامة والراسخين في علم الحقائق والمعارف لانه يبعد
عندهم ان ينزل الكتاب على من اوتي علوم الاولين والاخرين وهو لا يعرف قسما من الكتاب
المنزل عليه حاشاه وهو ممن اصطفاه الله تعالى على الخلق وهو سيد المرسلين صلوات الله
تعالى عليه وسلامه لقوله تعالى الرحمن علم القران وقال علمه البيان والايات في القران
بعلمه كله كثيرة واضحة فمن ابن حكموا انه يعلم بعض وهو المحكم ولا يعلم بعضه وهو المتشابه ولو
جاز ان يعلم وارث من امته وهو المعول عليه عند عامة الاولياء فليحفظ ذلك اما القول
الثاني وهو الاستيناف بقوله والراسخون بكونه مبتدا خبره يقولون والوقف من القراء
عن سنتهم فيلزم ترجيح القول الاول وذهب الى القول الثاني جم غفير من اصحاب السنن لان كثيرا
من الاخبار والاثار تدل على ان المتشابه مما لا يعلمه الا الله تعالى وان الخوض فيه مذموم
ويمكن الجواب لمرجحي القول الاول على القول الثاني بان المراد لا يعلمه بكماله الا الله تعالى
اذ هو منفرد بحقيقة العلم وعقل البشر موسوم بالعجز والتقصير بالنسبة الى علمه تعالى
كما اشار سبحانه في حق علم الروح وعلمه من المتشابه ايضا وما اوتيتم من العلم الا
قليلا اقول وسيد المرسلين متفرد بين البشر بعلم الكتاب كله وكذلك ورثته من امته
منفردون بين سائر الامم الماضية بالعلوم كلها ولكل نبي ورسول اختصاص بالعلم
وتفضيل به على امته فعلم المتشابه معروف الى الكمال وفائدة الصرف الى الكمال مما لا يحصى
في الاخبار النبوية وقال بعض المحققين في قوله وما يعلم تاويله الا الله اي لا يعلمه البشر بالمقدمات
العقلية والبراهين النقلية الا من علمه الله تعالى بفيض فضله وجعله من اهل الرسوخ بتكرمه اياه
كما اشاره سبحانه على لسان عباده سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم
الحكيم اقول وقد حصل في قول ثالث وهو السكوت والتوقف وهو المذهب الاسلم
لاهل الادب وهو منقول عن الزاهد الجليل احمد بن حنبل يعني يقف على المتشابه وعدمه ولا يلزم
من العلم الاختصاص وتفضيل لمن يشاء والله الموفق من ذكره الامام في الاتقان وقال
ذهبت طائفة من اهل السنة الى انا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف
وامامذهب السلف من الائمة فانهم رجعوا على ترك الخوض لمعانيها وتوقفوا في ذلك
ولم يرجحوا القولين بل جوزوا العلم لمن شاء الله تعالى ان يعلمه من انبيائه وورثتهم من العلماء
الراسخين وهو الارجح الاسلم والله تعالى اعلم السؤال السادس من خواتيم الحكم

الي اورده الامام البغوي في تفسيره فقال فان قيل اذا نزل القران للبيان فكيف لم يجعل كله
واضحا وجعل قسما منه مشكلا ومتشابها الجواب قال في جوابه والحكمة في ذلك والله اعلم
ان يظهر فضل العلماء والراسخين لانه لو كان الكل واضحا لم يظهر فضل بعضهم على بعض
وهكذا الكل من يصنف تصنيفا يجعل بعضه واضحا وبعضه مشكلا ويترك للاجتهاد والاعتبار
موضعا لما هو دأب الحكمة وقيل لكل ما بان وجه ودق وخفي بيانه السؤال الحادي والسادس من خواتيم
الحكم قال الامام الثاني يوري سئل بعض الملاحدة سؤال الطعن والعناد في كتابه تعالى
لاشتماله على المتشابهات وقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القران الى قيام الساعة
ثم انا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه فالجبري متمسك بايات الجبر كقوله تعالى وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ومنكر الروية من المعتزلة يتمسك بقوله تعالى لا تدركه الابصار
ومثبت الجهة متمسك بقوله يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والثاني متمسك
بقوله ليس كمثله شيء ثم يسمي كل واحد الايات الموافقة لمذهبه محكمة والايات التي تخالف مذهبه متشابها
وانما آل في ترجيح بعضها على البعض الى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب
الذي هو المرجوع اليه في كل الدين الى يوم القيمة الجواب الكافي والخطاب الشافي قال الامام الهمام
والمتقن القمقام ان العلماء اجابوا السؤال المخالف ان لوقوع المتشابه في كتاب الله الحكيم فيه فوائد
منها انه يوجب مزيد المشقة في الوصول الى المراد منه وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها
انه لو كان القران كله محكما لما كان مطابقا الا لمذهب واحد وكان لصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب
وذلك مما ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فاذا كان مشتملا على
المحكم والمتشابه يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع ارباب
المذاهب ويجتهد في التامل فيه صاحب كل مذهب واذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة
للمتشابهات وبهذا الطريق يخلص المبطل من باطله ويصل الى الحق ومنها ان القران اذا كان مشتملا
على المتشابه افتقر على العلم بطريق التاويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر الى تحصيل علوم كثيرة
فكان في ايراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة ومنها ان القران يشتمل على دعوة الخواص
والعوام وطبايع العوام تنفر في اكثر الامر عن درك الحقائق فمن سمع من العوام في اول الامر
اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن عدم ونفي وقع في التعطيل فكان الاصلح
ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه فيكون ذلك مخلوطا بما يدل على
الحق الصريح فالقسم الاول وهو الذي يخاطبون به في اول الامر يكون من المتشابهات والقسم الثاني
وهو الذي يكشف لهم في اخر الامر يكون من المحكمات ومنها ستر الاسرار عن الاغيار واخفاء

مطلب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)